



محمد صلى الله عليه وسلم عدو العنصرية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

فالبشر المنتشرون في قارات العالم يعتبرون أسرة واحدة جاءوا من أصل واحد (آدم وحواء) لذلك لا مكان بينهم لتفاضل في أساس الخلقة

قال تعالى: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا] النساء 1

وقال صلى الله عليه وسلم: (يا أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى) رواه أحمد

والبشر يختلفون بلا شك في ألوانهم وفي لغتهم وفي أرزاقهم وفي مواهبهم الشخصية، ولكن هذا الاختلاف ينبغي ألا يؤثر في مبدأ تساويهم في الحقيقة الإنسانية الأصلية، فهو كاختلاف ألوان الورود في البستان، أو اختلاف الأزياء الذي يرتديها الإنسان، فهو في الحقيقة اختلاف تكامل وتآلف وتلك حكمة الله تعالى لتسير عجلة الحياة.

فمثلا إذا كان الخباز يصنع الخبز للطبيب، فالطبيب يعالج الخباز عند مرضه وهكذا، لهذا يقول تعالى: [أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ] الزخرف 32

والمقصود بالتسخير هنا أن يكون أفراد المجتمع في خدمة بعضهم البعض، لا أن يتعالى أحد على أحد بسبب مال أو لون أو جنس أو مهنة. وقد رفض الإسلام رفضا حاسما أن تكون هذه الأشياء سبب تفرقة، أو سبب انقسام بل جعله الخالق العظيم آية من آيات إبداعه قال تعالى: [وَمِنْ آيَاتِهِ



خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتَلَفَ أَلْسِنَتِكُمْ وَاللُّوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ [الروم 22 وجعله إلى الناس أنفسهم سبب تعارف لا تناكر ، وانتلاف لا اختلاف

[يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ] الحجرات 13

ولقد بُعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم بعدما طغى الشر بكل أنواعه على العالم ، واختلت موازين العدالة والمساواة ، وفساد العقيدة صاحبه فساد فى القيم والأخلاق ، وصار أمرا عاديا أن يظلم المرء لسواد لونه ، أو قلة ماله ، أو لضعف أسرته ، لا فرق في ذلك بين البيئة العربية والأمم الأخرى من الروم والفرس

فلما جاء الإسلام لم يتوانى في محق آثار الجاهلية ، ورد الاعتبار إلى هذه الجماهير الغفيرة على اختلاف ألوانها وأوضاعها

لذلك كان من رموز الإسلام فى صدره الأول بلال الحبشى، وسلمان الفارسى، وصهيب الرومى، ويعتبر بلال رضى الله عنه من مشاهير الإسلام ، فكل مسلمي العالم يعرفون من بلال ، يعرفون المؤذن الأول في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث كان صوته هو الذى ينادى المؤمنين خمس مرات كل يوم للصلاة ، وهو الذى رفع الأذان فوق الكعبة المقدسة يوم فتح مكة

فلا مكان في الإسلام لعنصرية فعن المغرور بن سويد، قال: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبْدَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غَلَامِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَيْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأَمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأَمِّهِ؟ إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ حَوْلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَحُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيَلْبَسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ» . رواه البخارى . لقد سمي النبي صلى الله عليه وسلم العنصرية بالجاهلية ، فالعنصرى يعانى الجهل ولو ادعى الثقافة أو العلم أو التحضر



ولقد انتفع أبو ذر رضى الله عنه بهذا التوجيه النبوى ، فكان يلبس عبده من لباسه كما هو واضح فى الحديث

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ: «مَا رَأَيْكَ فِي هَذَا» فَقَالَ: رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ، هَذَا وَاللَّهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا رَأَيْكَ فِي هَذَا» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذَا -الْفَقِير- خَيْرٌ مِنْ مِائَةِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا- الْغَنِيِّ -» رواه البخارى

لقد بين لهم النبي أن المعيار الأساس الذي به يتفاضل الناس ليس هو المال أو الوضع الاجتماعي أو اللون، الشيء الوحيد الذي يجعل إنسانا أفضل من إنسان هو علاقته بربه وأخلاقه والمنفعة التي يقدمها للناس. **ولهذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه به لو أقسم على الله لأبره)** قد يكون الإنسان فقيرا لكن له المنزلة الكبيرة عند الله سبحانه فلا تنظر لأحد بناء على لونه أو ماله إنما انظر لأخلاقه وعمله

لقد أراد بعض الأغنياء من المشركين أن يطرد النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه من آمنوا به من الفقراء وأنهم سيدخلون في الإسلام إذا هو فعل ذلك يقول سعد بن أبي وقاص، قال: " كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتَّةَ نَفَرٍ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا. قَالَ وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَرَجُلٌ مِنْ هُدَيْلٍ، وَبِلَالٌ، وَرَجُلَانِ لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا، فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقَعَ فَحَدَّثَتْ نَفْسَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: [وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ] [الانعام 52] ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ابغوني الضعيف، فإنكم إنما تترؤن وتنصرون بضغفائكم» رواه النسائي



وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلي الله عليه وسلم - : "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عِيْبَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخَرَهَا بِالْأَبَاءِ ، مُؤْمِنٌ تَقَى وَفَاجِرٌ شَقِيَ ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تَرَابٍ ، لِيَنْتَهِيْنَ أَقْوَامٌ فَخَرَهُمْ بِرَجَالٍ أَوْ لِيَكُونَنَّ أَهْوَنَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ عَدْتِهِمْ مِنَ الْجَعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتْنَ"]

رواه أحمد. لقد بين هذا الحديث حقيقة الإنسان الذي يتكبر ويفخر على الناس بأنه في الحقيقة إنما يجلب لنفسه الذل والاحتقار هو يظن أنه يرفع نفسه لكنه أمام الله وأمام الناس لا يساوي شيئاً فالكل ينظر إليه باحتقار.

فالعنصرية التي وسمها النبي صلى الله عليه وسلم بالجاهلية، ومثل أصحابها بالخنافس، تعد مرض من الأمراض التي تفسد بها المجتمعات، إذ هي تتعارض مع سنن الله الكونية في تحقيق الوحدة والتعايش بين الناس، وتصيب أصحابها بالأمراض الجسدية والنفسية، وتحرمهم من الشعور بالسلام مع الآخرين، والسلام الداخلي مع أنفسهم

نسأل الله الهداية لنا ولكل العالمين